University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والأربعون / يناير / 2020

الغلـــوْ في الدّين

د. رافع محمود الفاخري – قسم الشريعة الإسلامية – كلية القانون – جامعة بنغازي

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والأربعون / يناير / 2020

الغلـــوْ في الدّين

المقدمة:-

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على الحبيب المصطفى.

وبعد،،،

كان لفظ الغلو في السابق إذا أطلق انصرف إلى أهل الأهواء وأهل البدع الذين غالوا وتطرفوا في تناولهم لبعض قضايا الدين، مثل القضايا العلمية، أو القضايا السلوكية.

أما في العصر الحديث فقد توجه البحث في الغلو إلى وجهة أخرى، حيث وقعت بعض المذاهب المنتمية إلى الدعوة الإسلامية في الغلو، وغير ذلك من الأوصاف المنفرة كالتعصب والتطرف والتشدد.

ولبحث هذا الموضوع وتحقيق القول فيه أهمية في ذاته وفي زمنه، وفيما يتعلق بمستقبل الدعوة الإسلامية.

فمن حيث الموضوع ذاته، فهو يتعلق بعقيدة المسلمين وتنقيتها من شوائب الغلو من جانب ويتعلق بالدعوة الإسلامية والدعاة من جانب آخر، أما من حيث زمن الموضوع فإن البحث كتب في الظروف الآتية:-

أولاً: بروز بعض الآراء والأعمال التي تتسم بالغلو من بعض المنتمين إلى التيارات الإسلامية، ولا شك أن مثل هذه الانحرافات تحتاج إلى نقدها وكشفها نصحاً للمسلمين.

ثانياً: غياب معنى الغلو في الشريعة عن أذهان معظم الناس، فهم لا يعرفون معناه، الأمر الذي جعل البعض يسحب على

الإسلام معنى الغلو عند النصارى.

فالنصارى يعبرون عن الغلاة بلفظة الأصوليين، مع وجود البون الشاسع بيننا معشر المسلمين وبين حقيقة هذا الإطلاق الخبيث.

ثالثاً: اتخاذ محاربة الغلو ذريعة لمحاربة الإسلام، مما يستلزم رفع الستار عن أخطر ميادين الصراع بين الإسلام والكفر.

وقد تناولنا هذا الموضوع في مباحث ثلاثة وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول:- ماهية الغلو في الدين.

المبحث الثاني:- البواعث والأسباب المؤدية إلى الغلو في الدين.

المبحث الثالث:- محصلات ونتائج الغلو في الدين.

المبحث الأول

ماهية الغلو في الدين وحقيقته

إن بيان معنى الغلو وتحديد المراد به بعلم وبصيرة ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيَّ عن بينة، لا يتأتى إلا بالاستناد إلى المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وإلى النصوص والقواعد الشرعية الثابتة، لا إلى الآراء المجردة ولا إلى قول فلان، فلا حجة في قول أحد دون الله ورسوله، قال تعالى: ((فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا)) [النساء: 59]، وقد اتفقت الأمة سلفاً وخلفاً، على أن الرد إلى الله تعالى يعني الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يعني: الرد إلى سنته.

وبدون هذا التوثيق الشرعي فلن يعير من اتهم بالغلو التفاتاً إلى فتوى أحد أو مقال آخر.

والواقع أن تحديد مثل هذه المفاهيم هو أمر غاية في الأهمية، حتى لا تترك مادة هلامية رجراجة يستخدمها كل حزب كما يحلو له وكل بما لديهم فرحين.

ومن المعلوم أن لكل كلمة معنى في اللغة اتفق عليها أهلها وتواضعوا على العمل به قبل انتقالها إلى أهل فن معين يصطلحون على إطلاق معنى آخر لها قد يوافق معناها اللغوي وقد لا يأتي معه على وفاق.

فالغلو في اللغة مشتق من الأصل اللغوي غلا يغلوُ غُلُواً. بمعنى جاوز حده، وغلوت في الأمر غلواً وغلانية وغلانياً: إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه. [1]

أما عن معنى الغلو في اصطلاح أهل الشرع، فقد عرف بعدة تعريفات لا تخرج في مجملها عن معناه في اللغة.

فقد عرف بأنه:- "مجاوزة الحد، والحد هو النص الشرعي، أي كلام الله، وما صح من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذا النص الشرعي يجب فهمه على وفق قواعد علم الأصول وقواعد اللغة العربية" [2]

وقال ابن الأثير: "الغلو في الدين: البحث عن مواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها" [3]

وعرفه العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين بأنه "هو مجاوزة الحد والتشدد في التعبد ونحوه، كالتشدد في الطهارة، والتشدد في القراءة، والتشدد في أمور الأحداث ونواقض الوضوء .... ومنه الغلو في الأشخاص، كالغلو في عيسى واعتقاد أنه الله أو ابن الله" [4]

---

(1) انظر لسان العرب، ابن منظور، تصحيح أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، الجزء الثامن، ص112، وانظر أيضاً تاج العروس، محمد مرتضي الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، المجلد العاشر، ص269.

(2) انظر ما نشر على شبكة المعلومات العالمية على الموقع http://www.nabulsi.com

(3) تاج العروس، المجلد العاشر، ص269

(4) منشور على الموقع الرسمي للشيخ الجبرين: http://www.ibn-jebren.com

وعرفه القرضاوي بأنه ((التعصيب للرأي تعصباً لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جموداً لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يراه بعد ذلك أنصع برهاناً، وأرجح ميزاناً" [5]

وقد عرفه بعض علماء النفس بأنه "الاتفاق بين مجموعة من الأفراد من ذوي الاتجاه الديني الواحد في حكم بقبول أو عدم قبول لشخص أو جماعة، هذا الحكم يكون سابقاً لوجود دليل منطقي أو دون دليل إطلاقاً في إصدار الأحكام التكفيرية على الآخرين". [6]

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التعريف الأخير لم يعتن بذكر حقيقة الغلو بقدر ما هو يتناول إحدى نتائجه وهو ما سنشير إليه لاحقاً.

فالمغالاة في التدين إذن هي التشدد والتصلب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً.

ذلك أن الله تعالى أنزل الأديان والشرائع وحدد فيها الوسائل والغايات وتعبد الناس بالوسائل كما تعبدهم بالغايات، وبين لهم طريق العبادة، وكيفية الأداء، ومنهج السلوك في التعامل والتشريع، ونصت الشريعة على أن أفضل وسيلة لعبادة الله تعالى هي الكيفية التي أمر الله تعالى بها، وشرعها للعباد لتحقيق مصالحهم في المعاش والمعاد.[7]

فلا يصح أن يعبد الله تعالى إلا بما يحب ويرضى وبما شرع للناس. قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة: ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشئ أحب مما افترضته عليه)). [8]

والخروج عن هذه الكيفية انحراف في الدين، سواء كان عن طريق الزيادة أو النقص، والمغالاة في التدين حياد عن جادة الصواب، ومجاوزة للحد الذي قدره الشارع الحكيم.

فالغلو في الدين منفِّر لا تحتمله طبيعة البشر العادية، ولا تصبر عليه، ولو صبر عليه قليل منهم لم يصبر عليه جمهورهم، والشرائع إنما تخاطب الناس كافة، لا فئة ذات مستوى خاص.

كما أنه قصير العمر، والاستمرار عليه في العادة غير متيسر، فالإنسان ملول وطاقته محدودة فإن صبر يوماً على التشديد والتنفير، فسرعان ما تكل نفسه فيسأم ويدع العمل حتى القليل منه، أو يأخذ طريقاً آخر، على عكس ما كان عليه [9].

كما أن الغلو لا يخلو من جور على حقوق أخرى يجب أن تراعى، وواجبات يجب أن تؤدى.

---

(5) محاضرة للقرضاوي بعنوان "التطرف بين الحقيقة والاتهام"، منشورة على شبكة المعلومات العالمية على الرابط http://www.islamonline.com

(6) مقاربة نفسية لفهم التطرف الديني، إقبال المغربي، موقع شغاف الشرق الأوسط الالكتروني.

(7) انظر، الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، د. محمد مصطفى الزحيلي، منشورات جمعية الدعوى الإسلامية، ط3، 1428م، ص12.

(8) رواه البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً، دار طوق النجاة، تحقيق محمد زهير، ط الأولى، سنة 1422 هـ، باب التواضع،حديث رقم،6502 ص339.

(9) التطرف بين الحقيقة والاتهام، مرجع سابق، ص7.

وللغلو في الدين صور عديدة، أهمها وأخطرها على الإطلاق الرهبنة والرهبانية التي شاعت وانتشرت في التاريخ القديم والتصقت بالمتدينين والدين، حتى توهم كثيرون أنها من أصل الأديان السماوية، لذلك حذر الشرع الحنيف منها، وبين أنه لا رهبانية في الإسلام، وفند حججها، وبين أخطارها [10]

ولقد نهى الدين الإسلامي الحنيف عن الغلو والتنطع وبين أن الأصل في الدين اليسر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ما بعث إلا بالحنيفية السمحة، وإليك بعض الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

الأدلة من الكتاب:

1- قال تعالى (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) [البقرة:من الآية 185]

2- وقال أيضاً: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ) [سورة الحج: من الآية78]

3- قال جل شأنه (وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ) [الأعراف: 157]

ووجه الدلالة من الآيات أن الله سبحانه وتعالى لم يكلف هذه الأمة ما فيه مشقة زائدة عن الحد، بل أنه رفع عنها ما كان مثقلاً لكاهل الأمم السابقة. فهل يتصور بعد هذا التقرير أن يقول قائل أن التشديد أصل في الدين؟

4- قال تعالى: (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ) [المائدة : 77].

5- وقال أيضاً: (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ) [النساء:من الآية 171]

فالله سبحانه وتعالى لما تكلم أولاً عن أباطيل اليهود، ثم تكلم ثانياً عن أباطيل النصارى، وأقام الدليل القاهر على بطلانها وفسادها، فعند ذلك خاطب مجموع الفريقين بهذا الخطاب " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم"[11]، والسعيد من اعتبر بأحوال الماضين.

الأدلة من السنة:

1- ما رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً" [12].

فالجسد يحمل النفس، وهذا الجسد وهذه النفس مسخرة لمهمة خطيرة، فأساس الدين التوازن بين الناحية الجسمية والعقلية والنفسية.

---

(10) الاعتدال في التدين، مرجع سابق، ص25.

(11) التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 2001، المجلد الرابع، ص411، وانظر تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر، الجزء الثاني، ص458.

(12) صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، حديث رقم 1975.

2- ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: "جاء رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الدهر أبداً، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتم القوم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما –والله– إني لأخشاكم لله وأتقاكم، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" [13]

3- ما رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله له غداة العقبة وهو على ناقته: "القط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه، ويقول أمثال هؤلاء فارجموا، ثم قال: يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدين"[14]

4- ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا [15]

والمتنطعون: هم المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وهذا الحديث والذي قبله جعلا عاقبة الغلو والتنطع الهلاك، وهو يشمل هلاك الدين والدنيا، وأي خسارة أشد من الهلاك، وكفى بهذا زاجراً [16] والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن يسعها المقام والفطن يكفيه القليل.

(13) صحيح البخاري، دار القلم، دمشق، سوريا، الجزء الخامس، كتاب النكاح، ص 1949، حديث رقم 4776.

(14) مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، 1999 ف، المجلد الثالث، ص 350.

(15) صحيح مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4 باب هلك المتنطعون، حديث رقم2670 .

(16) التطرف بين الحقيقة والاتهام، مرجع سابق، ص3.

المبحث الثاني

البواعث والأسباب المؤدية إلى الغلو في الدين

لقد اعتنى العلماء والبحاث في العصر الحديث ببيان البواعث الكامنة والأسباب المؤدية إلى ظهور المغالاة في الدين والشطط فيه [17] وبالاستقراء يمكن القول بأن هذه الأسباب تنقسم إلى أسباب تتعلق بالفكر، وأخرى ذات صلة بالوسط الاجتماعي، وثالثة الأثافي ذات علاقة بالأصول التربوية. [18]

المطلب الأول :الأسباب الفكرية للغلو في الدين:

يمكن القول بأن الأسباب الفكرية للغلو في الدين تعود في أغلبها إلى الآتي:

1- معاناة العالم الإسلامي من انقسامات فكرية حادة، بين تيارات مختلفة، ومرجع هذه المعاناة وما يترتب عليها من مشكلات هو الجهل بالدين والبعد عن التمسك بتوجيهات الإسلام، ومن أبرز التيارات المعاصرة تياران:

الأول: علماني يدعو إلى بناء الحياة على أساس مادي غير مرتبط بأصول الشرع، فهو يرى أن تعاليم الدين تشكل عائقاً في طريق التقدم والانطلاق نحو الحضارة.

والثاني: تيار متطرف يعارض المدنية الحديثة وكل ما يتصل بالتقدم الحضري، فهي من وجهة نظر أصحابه ليست إلا فساداً في الأخلاق، وتفككاً في الأسر، وجموداً في العلاقات الاجتماعية. فهم يرون أن الحضارة تجعل الفرد يعيش لنفسه ملبياً لرغباته متنكراً للآداب والفضيلة، ولذا فكل جانب يرفض فكر الآخر ويقاومه وينظر إليه نظرة ريب وشك دون تمحيص وتقويم ليصل إلى الحق. [19]

2- ضآلة الاهتمام بالتفكير الناقد والحوار البناء من قبل المربين والمؤسسات التربوية والإعلامية.

ذلك أن الاهتمام بالعقول وإثراءها بالمفيد واستثارتها للتفكير والتحقق يتطلب التناول العلمي في النظر إلى الأمور، وإعطاء أهمية للحوار الفكري مع الآخر، ومن عيوب التربية والتعليم في المدارس أسلوب التلقين وحشو مواد الدراسة، وهذا ما عليه الحال أيضاً في وسائل الإعلام، بما يجمد الفكر ويسطحه.

3- سوء الفهم والتفسير الخاطئ لأمور الشرع:

وهذا الأمر يتعرض له بعض الناس يدعمه وجود من يدعون العلم والفقه في الدين، وينصبون أنفسهم أئمة، ويتساهلون في أمور الحلال والحرام، ويأخذون من الأمور ظاهرها أو وفق أهوائهم الشخصية، دون الرجوع إلى العلماء الأكفاء، وربما كان ديدنهم الاستعجال، وعدم الجمع بين الأدلة، أو عدم فهم مقاصد الشريعة.

---

(17) انظر على سبيل المثال، بحث الأستاذ الدكتور/ ناصر بن عبدالكريم العقل، "الغلو الأسباب والعلاج"، وانظر أيضاً بحث الدكتور غالب محمد رشيد الأسدي، "التنشئة الأسرية ومظاهر التطرف الديني"، وانظر أيضاً ما كتب بعدة أقلام منشوراً على شبكة المعلومات العالمية على الرابط http://www.k128.com.

(18) انظر بحث الدكتورة "أسماء بنت عبدالعزيز الخميس"، أسباب الإرهاب والفتن والتطرف"، دراسة تحليلية، مقدم إلى المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب المقام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(19) انظر د. خالد بن صالح الظاهري، دور التربية الإسلامية في الإرهاب، دار عالم الكتاب، الرياض، 2002ف، ص 61-62.

المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية للغلو في الدين:

1- عدم الحكم بما أنزل الله في كثير من البلاد الإسلامية:

فقد خلق الله الخلق لعبادته (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات آية56].

وأمرهم بإقامة دينه واتباع شرعه، ومن مقتضيات العبادة ولزوم الشرع: خضوع العباد لله والتسليم بحكمه(مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ) [الأحزاب:من الآية 36].

وعند تتبع مظاهر الغلو العقدية أو العملية في كثير من البلاد الإسلامية، نجد غالبها يرجع إلى مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا الانحراف أنتج انحرافاً نقدياً مقابلاً. (20)

2- الفساد العقدي:

الأصل أن الدين الإسلامي واحد، وقد تركنا النبي صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء، ولكن أقواماً سلكوا سبل الأمم السابقة فتفرقوا في دينهم، فظهر ما يسمى بالخوارج وما يقابلها من بدعة الإرجاء، وبدعة الجبرية رد فعل لبدعة القدرية النفاة، ولقد صار هؤلاء الذين فرقوا دينهم شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة.

وفي العصر الحديث امتلأت الساحة بالفرق والمذاهب والآراء، ولقد كان انتشار تلك الفرق مؤثراً في إحداث الغلو.

وأهم الاتجاهات العقدية المنحرفة التي كان لها أثر واضح في ظهور هذه المشكلة وإذكاء آراء الغلاة وأقوالهم: الاتجاه الصوفي والاتجاه الإرجائي. (21)

3- اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم:

إن قيام أمور الحياة الدينية والدنيوية معتمد –بعد الله– على وجود الآمر الناهي المنظم لشؤون الدولة وأمورها.

ومن كمال هذا الدين أنه ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم؛ لأن من شأن ضبط هذه العلاقة انضباط أمور الأمة، وسيرها في حياتها على السواء.

ولقد ضبط الشرع هذه العلاقة بأسلوب بديع هو: توجيه كل من الطرفين –الحاكم والمحكوم– إلى القيام بالمهام المنوطة به والواجبات الموكلة إليه، فإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الحاكم وحقوق الرعية عليه، ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الرعية، وإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الرعية ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الحاكم، والموقف يتشكل من مجمل النصوص الواردة في ذلك. (22)

4- عدم تكوين روح التعلق بالمجتمع الإسلامي أو بالأمة الإسلامية:

وهذه الروح ضرورية للفرد للعيش في الحياة الاجتماعية ولدوامها.

(20) انظر، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين، الرياض، 1998ف، الجزء الثاني، ص431.

(21) المرجع السابق، ص446.

(22) انظر، أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، مرجع سابق، ص15.

فالفرد لا يمكنه النجاح في حياته الاجتماعية إذا ما عمل لمصلحته الخاصة باستمرار دون مراعاة لشعور الآخرين وحقوقهم الطبيعية، ولا يمكن أن تنجح حياته أيضاً إذا ما عاش حياة العزلة والانطواء. فمن أهم فوائد الاختلاط أن يجرب الإنسان نفسه وأخلاقه وصفات باطنه، وذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإن كان غضوباً أو حسوداً أو حقوداً، وخلا بنفسه لم يترشح منه خبثه، وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب قهرها وإماطتها، ولا يكتفى بتسكينها بالتباعد عما يحركها.

ولهذا فقد اهتم الإسلام بالتعلق بالمجتمع أو الجماعة وفي ذلك يقول النبي –صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، ومن أراد بحبوحة الجنة فيلتزم الجماعة" [23]، وقال أيضاً "من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" [24]

ولقد حذر الإسلام من إثارة الفتنة وتفريق الأمة، وقد قرر لذلك عقوبات شديدة[25] وردت بها النصوص منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه" [26]

5- غياب دور العلماء وانشغالهم:

إن للعلماء دوراً عظيماً في المجتمع المسلم فهم ورثة الأنبياء، وأن غياب أثرهم وانشغالهم مدعاة لتصدر غير الأكفاء الذين يضلون الناس بالفتوى بالباطل أو بغير علم، وحينذاك يتعرض المجتمع للهلاك عندما يأخذ منهم الناس ولاسيما الشباب أمور دينهم، أو يزدرون عبادتهم ويتهمونهم بالتقصير ويحللون ويحرمون من عند أنفسهم.

6- التفكك الأسري والاجتماعي:

وهذه الحال تشهدها كثير من البلدان مما يؤدي إلى انتشار الأمراض النفسية، ونسبة الشواذ.

فحرمان الطفل من احتياجاته النفسية والعاطفية ومعاملته بالقسوة، سوف يؤدي إلى جعله ينشأ ناقماً على الناس، يتخذ من الانحراف وسيلة للثورة على مجتمعه وبيئته، وما يحمله من مفاهيم ومثل، متحدياً جميع الاعتبارات غير عابئ بها.

ولنا في رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أسوة حسنة إذ روي عنه أنه قبل الحسن فقال له أحد الصحابة: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً. فقال النبي الكريم: "من لا يرحم لا يرحم". [27]

---

(23) رواه الترمذي في سننه، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة1998م، باب ما جاء في لزوم الجماعة، المجلد الرابع، حديث رقم2165.

(24) الترمذي، باب مثل الصلاة والصيام والصدقة، المجلد الخامس، ص148.

(25) انظر مقداد يالجن، التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مطابع الفرزدق، 1987ف، ص55 وما بعدها.

(26) رواه مسلم، باب حكم من فرق أمر المسلمين، المجلد الثالث، ص 1479.

(27) التنشئة الأسرية ومظاهر التطرف الديني، مرجع سابق.

المطلب الثالث: الأسباب التربوية للغلو في الدين:

يمكن إجمال الأسباب التربوية فيما يلي:

1- نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية من الابتدائي وحتى الجامعة في معظم البلاد الإسلامية، فما يدرس في مراحل التعليم الأساسي لا يؤهل شخصاً مثقفاً بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية، ليعرف ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية وعدم تلبيتها لحاجات الطلاب في توعيتهم بأمور دينهم وتنوير فكرهم بما يواجههم من تحديات في هذا العصر، إلى نقص الوعي الديني بوجه عام مما يكون له الأثر السلبي على سلوك واتجاهات أفراد المجتمع. [28]

2- عدم الاهتمام الكافي بإبراز محاسن الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية.

ومما يحث عليه الإسلام ويدعو إليه الرفق، والتسامح، وحب الآخرين، ومراعاة حقوق المسلمين منهم وغير المسلمين، والسلام، والتعاون، والرحمة والبعد عن الظلم، والبعد عن الحكم بالأهواء الشخصية، وغير ذلك مما يدعو إلى الحب والعدالة ، ولابد من إظهار هذه المحاسن والأخلاقيات منذ بداية التعليم حتى يتربى عليها النشئ. [29]

(28) دور التربية الإسلامية في الإرهاب، مرجع سابق، ص60-61.

(29) أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، مرجع سابق، ص23.

المبحث الثالث

محصلات ونتائج الغلو في الدين [30]

رأينا في المبحث الأول أن الغلو في الدين محرم ومنهي عنه شرعاً، فالغلو في الدين –بجميع أشكاله وأنواعه– مرض خبيث يودي بصاحبه إلى الهلاك والدمار، بل ويتعدى ذلك ليطال المجتمع.

وقد ظهر خطره قديماً وحديثاً، في الأمم السالفة واللاحقة، وفتك بأهله في نطاق العقيدة والإيمان، ودمر أتباعه في مجال السلوك والأحكام؛ لأن الغلو في العقيدة يؤدي إلى الكفر والضلال، كما أن الغلو في الأحكام والفروع الفقهية يوصل إلى الهلاك والدمار وإليك تفصيل ما سبق:

المطلب الأول:– نتائج الغلو في العقيدة:

إن الغلو في أمور العقيدة يخرج أصحابه عن دين الله تعالى، ويضعهم في حظيرة الكفار. هذا ما حصل مع كثير من الأمم السابقة الذين غالوا في صفات الله تعالى وأسمائه، وغلوا في صفات الأنبياء، وجعلوا منهم آلهة، وأشركوا مع الله آلهة أخرى، أو اتخذوا منهم قربة وزلفى إلى الله عز وجل، وقد سماهم القرآن كفاراً أو مشركين، فمن ذلك ما حدثنا به القرآن الكريم عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين غالوا في عقيدتهم بالله وبالرسل فكانت نتيجة ذلك الكفر والثنية والإشراك. فقال تعالى: (يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ) [النساء:من الآية 171].

ولقد سماهم القرآن الكريم كفاراً في قوله عز وجل(لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ) [المائدة:من الآية 72].

وهذا الغلو في العقائد لم يقتصر على أهل الكتاب من الأمم السابقة، وإنما سرت عدواه إلى بعض المسلمين، فقد ظهرت الفرق المغالية في العقائد، وتسترت بعضها تحت شعارات إسلامية وآيات قرآنية، ومذاهب صحيحة، فغالى بعض الناس في عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، فظهرت في ذلك فرقتان متطرفتان هما القدرية والجبرية، وغالى قوم في حب أهل البيت وتقديم الإمام علي على باقي الصحابة، ثم بالغوا في تعظيمه حتى وصلوا إلى الكفر كالسبئية وغيرهم من غلاة الشيعة، وغالى قوم في الالتزام المطلق بالأعمال والسلوك، وكفروا عامة المسلمين، وهم الخوارج، وغالى قوم بالجانب العقلي حتى قرروا وجوب الصلاح والأصلح على الله وهم المعتزلة. [31]

وأنت أيها المنصف ترى مقدار ضلالة كل فرقة وما أتوا إلا من قبل المغالاة والتنطع.

---

(30) انظر د. محمد مصطفى الزحيلي، الاعتدال في التدين، مرجع سابق، ص41 وما بعدها.

(31) انظر في تفصيل ذلك:– مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، الملل والنحل للشهرستاني، الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، الفرق بين الفرق للتميمي.

المطلب الثاني: نتائج الغلو في الأحكام:

إن الغلو في الأحكام والمبالغة في العبادات الخاصة ومجاوزة الحد المقدر لها شرعاً، والمغالاة في التطبيق، تخرج من نفس بواعث الغلو السابقة، وتؤدى بأصحابها إلى الهلاك والبوار.

ويتخذ الغلو في الأحكام عدة وسائل، منها أن يحرم الشخص على نفسه ما أحل الله تعالى، ويمنعها من ملذاتها، ويسد عليها أبواب الفطرة في غرائزها وميولها، ويغلق أمامها الرخص الشرعية والمباحات الدنيوية، وهي بمثابة النوافذ التي تستنشق منها الحياة، ويتغافل عما سهله الله ويسره، ورفع فيه الحرج والمشقة، متوهماً أن ذلك قربة إلى الله وزلفى إليه، ناسياً قوله تعالى "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ " [المائدة : 87]. فالله شرع لعباده ما يحقق لهم الصلاح والخير والمنفعة في الدنيا والآخرة، ودفع عنهم كل الفساد والضرر، ومن هنا حرم الإسلام الرهبانية، لأنها انقطاع عن الحياة الدنيا، وقتل للغرائز البشرية، وكبت لها، وتعطيل لوظيفة الإنسان في الكون، استخلافاً وعمارة، وبناء وعبودية.

والملاحظ أن التزام الغلو في الدين يؤدي إلى إلغاء بعض الأحكام المشروعة الصحيحة، أو التقصير فيها، وأن من يتبنى فكرة مغالية فإن هذا يكون على حساب التطبيق الصحيح الذي شرعه رب العالمين واختاره لعباده، متفقاً مع فطرتهم، ومتناسباً مع قدرتهم، ومحققاً لمصالحهم في الدنيا والآخرة.

وهذا ما يقرره صاحب الموافقات إذ يقول "فإن المكلف مطلوب بأعمال ووظائف شرعية لابد له منها، ولا محيص له عنها، يقوم فيها بحق ربه تعالى، فإن أوغل في عمل شاق فربما قطعه عن غيره، ولاسيما حقوق الغير التي تتعلق به، فيكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعاً عما كلفه الله به فيقصر فيه، فيكون ملوماً غير معذور، إذ المراد منه القيام بجميعها على وجه لا يخل بواحد منها، ولا بحالٍ من أحواله".

ثالثاً:- نتائج الغلو على السلوك:

يظهر من الكلام السابق، ومن عبارات الشاطبي الأثر الخطير الذي يتصل بالأحكام والسلوك نتيجة الغلو، وهذا أمر ظاهر ملموس مشاهد في الحياة، وتدل الوقائع أن هذا المغالي لن يصبر على هذا التغالي والمبالغة، وأن جسمه وعلقه وروحه وفكره سيضيق به ذرعاً، وينتظر الوقت المناسب ليكبو بصاحبه، تم يطيح به في منتصف الطريق. [32]

وقد يصاب المرء بردة فعل معاكسة، بأن يتخلى عن الدين كله ويكرهه ويسئ الظن به، والدين من ذلك كله براء، وإنما جاءه هذا من نفسه الأمارة بالسوء، وهذا ما قصده المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى" [33]

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على المنهج الرباني الصحيح للعبادة والسلوك ويحذرهم من المغالاة والغلوْ في السلوك، ويبين لهم أن الله عز وجل هو الذي خلقهم وهو العليم بأحوالهم "ألا يعلم من خلق"، ومن خبرته بهم ولطفه عليهم أن سن لهم من الدين ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم، وأن الأولى الاتباع لا الابتداع؛ لأن ذلك من اتباع خطوات

(32) الاعتدال في الدين، مرجع سابق، ص58.

(33) رواه أحمد عن أنس رضي الله عنه، المجلد، 20، ص346، تحقيق شعيب الأرناؤوط.

الشيطان، الذي يرسم لهم طريقاً شططا يغاير طريق الإسلام، حتى وإن تراءى للناظر بعقله إن في ذلك خيرا، وحتى لو حسنت النية، وكان المقصد الذي يطلبه العامل نزيهاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى بين الغايات النبيلة المقدسة، وشرع لها الوسائل التي توصل إليها.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ها قد حان الوقت لكي نقرر بعد أن بيّنا ماهية الغلو في الدين وأسبابه ومدى تأثيره على العقيدة والسلوك والأحكام، أنه وإن كان الغلو يشكل داء يصاب به الفرد والأمة، فإنه لابد لهذا الداء من دواء، ويمكن إجمال سبل العلاج فيما يلي:-

أولاً: لابد من الوضوح والشفافية والصراحة في طرح قضايا التكفير والعنف والغلو، وأسبابها والاعتراف بوجودها وآثارها، ولاسيما بعد أن شاعت هذه الأمور عبر وسائل الإعلام والإنترنت، ومجالس الناس الخاصة والعامة.

ثانياً: استنهاض همم العلماء والدعاة والمفكرين والمربين، للإسهام في حل المشكلة وتخفيف آثارها، والحد من انتشارها بأكثر مما هو حاصل، وبكل الوسائل المتاحة.

ثالثاً: يجب إنشاء مراكز وجمعيات ومؤسسات متخصصة، رسمية وغير رسمية، تعنى بهذه الأمور، يكون فيها باحثون متفرغون يعكفون على البحث والدراسة والحوار، وتوفر لهم الإمكانات اللازمة والوسائل العلمية والإعلامية وغيرها.

رابعاً: توسيع دائرة الفتوى والمفتين نوعاً وعدداً وطريقة، وإنشاء دوائر للفتوى في كل المناطق واسعة الصلاحيات، كبيرة الإمكانيات، تتصدى لحاجات المجتمع ومشكلاته.

خامساً: كبار المسئولين في الدولة بحاجة ملحة إلى دورات مركزة في أصول الدين وثوابته ومسلماته، وأصول الغلو واتجاهاته، ونحو ذلك مما يؤدي الجهل به إلى الاستهانة والاستهجان بمقام المسؤول والحط من قدره.

ثبت المراجع

أولاً: كتب التفسير:

1- الرازي، التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2001.

2- تفسير ابن كثير، دار الفكر للطباعة والنشر.

ثانياً: كتب الحديث:

1- سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.

2- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ وأيضاً طبعة حققها مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت.

3- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط2، 1999 ف.

ثالثاً: كتب أصول الدين والفرق:

1- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيمة، المكتبة التوفيقية، مصر.

2- الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر التميمي، دار آفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1981ف.

3- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395 هـ.

4- مقالات الإسلاميين، علي بن إسماعيل الأشعري، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1954ف.

5- الملل والنحل، محمد بن الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر، مصر، 1968ف.

رابعاً: كتب أصول الفقه:

1- الموافقات، إبراهيم بن موسى اللخمي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1421.

خامساً: كتب اللغة:

1- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا.

2- لسان العرب، ابن منظور، تصحيح أمين عبدالوهاب ومحمد الصادق.

سادسا: الكتب والبحوث الحديثة:

1- أسباب الإرهاب والعنف والتطرف، د. أسماء بنت عبدالعزيز الحسين،بدون ناشر ولا طبعة.

2- الاعتدال في التدين، د. محمد مصطفى الزحيلي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط3، 1428م.
3- التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، مقداد يالجن، مطابع الفرزدق، 1987ف.
4- التطرف بين الحقيقة والاتهام، يوسف القرضاوي، منشور على شبكة المعلومات على الرابط: http://www.islamonline.com
5- التنشئة الأسرية ومظاهر التطرف الديني، الدكتور غالب محمد رشيد الأسدي.
6- دور التربية الإسلامية في الإرهاب، د. خالد بن صالح الظاهري، دار عالم الكتاب، الرياض، 2002ف.
7- الغلو الأسباب والعلاج، للدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل.
8- مشكلة الغلو في الدين، د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الرياض، 1998ف.
9- مقاربة نفسية لفهم التطرف الديني، إقبال الغربي، موقع شغاف الشرق الأوسط.